فلما رأوا أنه لا يقبل منهم شيئًا، وأنه مصر على السير فى طريقه، انقلبوا عليه يتحدّوْنه.. يطالبونه بالمعجزات، ويستعجلونه بالعذاب الذى توعدهم به إن كان رسولا.

روى ابن إسحاق عن سعيد بن جُبَير وعن عِكْرمة مولى عبد الله بن عباس، عن ابن عباس رضى الله عنه وعن أبيه: «أن أشراف قريش من كل قبيلة اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة، ثم قال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد فكلموه، وخاصموه حتى تُعذِروا فيه[1]. فبعثوا إليه أن أشراف قومك قد اجتمعوا إليك ليكلموك، فائتهم. فجاءهم، صلى الله عليه وسلم، سريعًا، وهو يظن أنْ قد بدا لهم فيما كلمهم فيه بَداء - وكان عليهم حريصًا يحب رشدهم ويَعِزّ عليه عَنَتُهم - حتى جلس إليهم، فقالوا له: «يا محمد، إنا قد بعثنا إليك لنكلمك، وإنا - والله - ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك.. لقد شتمت الآباء، وعبت الدين، وسبَبْت الآلهة، وسفهت الأحلام، وفرقت الجماعة، فما بقى أمر قبيح إلا وجئته فيما بيننا وبينك - أو كما قالوا له - فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا؛ وإن كنت إنما تطلب به الشرف

(١) تعذروا فيه: جادلوه حتى تقيموا عليه الحجة وتبينوا عذركم للناس فى معاداته.